

وداعاً للشاعر جودت حيدر

بغياب الشاعر الكبير جودت حيدر تنطوي صفحة بهية من الابداع الشعري اللبناني باللغة الانكليزية.

تعروني برداء سافعة، من جمر السؤال، وتدھمني صحوة راجعة، من بعيدات المناں، ألم نغفل طويلاً عن عملائق ملأ العقل وشغل البال، واجتاز صخور الغابة واتقى حريق البلبال، وعلمنا ان الصوت نشوة والصمت ابتهال، وان الانسان موقف ومبدأ وأن الخفة مذمة والمداجاة ابتذال، نعود اليوم الى كرومته لنعيid ما وجهاً بانعکاس الوانه الممتدة علينا شرود اخضلال، فالاليوم يومه منذ كان وكنا لا مذ عزمنا على الصعود اليه عبر الجبال، ملتزمين ظل عباءته حين عز في لهيب آب فيء الظلال.

جودت حيدر، الاسم علم، والشيم نواهض، والنبل قمم، والاخلاق نوابض.

رحالة أحلام، معلى هم، مبرمج نوايا، مجسدة قيم.

الشفيف العفيف، الجليّ الجليل، الممرس المدرس، جرأته رجولة، وفروسيته اقدام، هويته علم، وسيماه معرفة، يستزد منهما دون ارتواء، وبوصلته ابداع يقارب الاختراع كيلا يدع حدوداً أمام التطور الا ويحطمها، ومن هنا كان الشعر لديه خزينة فكر ومجمرة فلسفة وصبوة روح فإذا بأتونه يصهرها بأعجوبة الاسطورة أشابة مدمجة.

الشفوف العطوف، الكلف الصبّ، طموحه صروح، والحدائق بواسق، منه الشاهينة والسهام، والسلوى والبسام، والمنتھي والريم والحنان، أولاده من المليحة يحدثونك عنه أكثر مما يحدثونك عن أنفسهم، وفي سرائرهم طهر من طهره، ورجاء من حدقتيه، وشعاع من نوره.

الرضي الأبي، النخبوi السنّي، مهما كان الطريق شاقاً فبارادته يشقه، ومهما كان الحق مغيباً فباتستقامته يحققه. ما انحاز الا لعدل، وما فاه الا بفصل. دعوته محبة، وبشاشته سلام.

السمح البر، المجنح الحر، يلحظ الخير في ثنايا الشر، حتى لكانه قادر على ان يرى الفضل في المساءة، والوصول في الجحود، والتحنان في الحفيظة. فعجباً لبصر ثاقب البصيرة، لا يسف الى شهوة ويصفح عن أقصى اعتساف.

وهكذا، حين ظلمه وطنه ظللـه بظله، مؤثراً عزته على عزه، وصلاحه على صالحه، وحبـيات ترابـه على كنوز الدنيا. وحين غدرـته السياسـة غادرـها غدوـة، مـصطفـياً عـلـيـها غـدـيرـ الشـعـرـ وغـدـائـرـ التـأـمـلـ.

اقترب من لظـى المناصبـ فـاكتـوىـ، فـعـكـفـ عـلـىـ سـقـيـاـ زـرـعـهـ حتى اـرـتوـىـ، وـتـعـهـدـ ثـمـرـهـ جـنـيـاـ حتـىـ اـسـتـوـىـ، موـطـنـاـ النـفـسـ عـلـىـ انهـ كـلـمـاـ اـغـتـوـىـ اـرـعـوـىـ وـكـلـمـاـ اـجـتـوـىـ اـنـضـوـىـ. فـضـلـهـ انـ فـضـيـلـتـهـ فـاضـتـ فـفـضـلـ منـهاـ أـكـثـرـ مـاـ اـنـطـوـىـ.

كـلـ أـصـيلـ هوـ، يـعـمـرـ ليـخـمـرـ، وـبـيـتـلـىـ ليـجـتـلـىـ. عمرـهـ اللهـ فـانـسـاحـ تـطـلـعاـ وـتـفـكـراـ، وـابـلـلـاهـ بـفـقـدـ اـبـنـهـ فـتـجـوـهـ حـلـمـاـ وـاحـتـسـبـ تـصـبـراـ.

ولـذـاـ فـلـيـسـ الـلـافتـ مدـيـدـ عمرـهـ وـلـاـ قـدـيـدـ قـامـتـهـ، بلـ عـدـيدـ هـمـتـهـ وـتـعـدـ اـهـتمـامـاتـهـ، يـسـابـقـ بـهـاـ الزـمـنـ حتـىـ كـلـمـاـ كـرـتـ سـبـحةـ سنـيـهـ خـطـطـ لـلـمـزـيدـ مـنـ قـوـادـمـهـ وـنـظـمـ وـاحـاتـهـ، كـوـاـحـدـ مـنـ أـشـبـ جـيـلـ وـأـفـتـيـ هـوـاتـهـ.

وـلـأـنـ المـرـءـ يـقـاسـ بـعـلـمـهـ وـعـمـلـهـ، بـفـكـرـهـ وـعـطـائـهـ، بـنـوـيـاـهـ وـنـقـائـهـ، فـجـودـتـ حـيدـرـ مـنـ السـرـاـةـ السـوـامـقـ كـلـمـاـ سـاـوـرـتـهـمـ سـوـرـةـ السنـيـ سـلـوـاـ سـيـفـاـ وـاسـتـمـاتـواـ سـمـتـاـ وـسـؤـدـ شـوـاهـقـ.

أـفـلاـ يـحقـ لـهـ اـذـاـ أـنـ يـرـىـ لـبـنـانـ وـاحـدـاـ مـنـ تـلـكـ الدـوـلـ الـمـتـطـوـرـةـ حـيـثـ الـمـنـاصـبـ تـعـرـضـ عـلـىـ الـمـقـفـيـنـ وـالـطـلـيـعـيـنـ، وـغـالـبـاـ مـاـ يـأـنـفـونـ خـوـفاـ مـنـ بـيـرـوـقـراـطـيـةـ طـاحـنـةـ أـوـ وـفـاءـ لـاـسـتـمـارـاـيـةـ أـبـحـاثـ يـجـرـونـهـ؟ـ تـرـىـ مـتـىـ نـرـىـ لـبـنـانـ وـاحـدـاـ مـنـ تـلـكـ الدـوـلـ الـمـتـطـوـرـةـ الـتـيـ تـضـمـنـ عـيـشاـ كـرـيـماـ وـرـوـاتـبـ مـدـىـ الـحـيـاـةـ لـأـهـلـ الـثـقـافـةـ الـمـبـرـزـيـنـ كـيـ يـتـفـرـغـواـ لـلـاـنـتـاجـ الـفـكـرـيـ وـالـاـبـدـاعـيـ، كـمـاـ تـسـعـىـ إـلـىـ اـسـتـقـطـابـ مـنـ هـمـ خـارـجـ حـدـودـهـ بـمـنـحـهـ جـنـسـيـتـهـ وـالـاـقـامـةـ الـمـرـيـحـةـ فـيـهـاـ الـكـيـ يـسـاعـدـاـوـاـ عـلـىـ تـطـوـيرـهـاـ وـتـخـلـيـدـهـاـ بـاـنـتـاجـهـ؟ـ

جـودـتـ حـيدـرـ وـاـحـدـهـ هـنـ اـوـلـئـكـ الـذـيـنـ عـرـضـتـ عـلـيـهـمـ الـعـطـابـاـ وـالـجـنـسـيـاتـ وـالـهـجـرـةـ قـرـفـضـ.ـ ظـلـ وـفـيـاـ لـبـنـانـ، وـلـأـنـ قـدـ أـنـ الـأـوـانـ لـيـبـادـلـهـ وـطـنـهـ الـوـفـاءـ مـحـقـقاـ بـعـضـ طـمـوـحـاتـهـ:ـ بـاـرـسـاءـ الـوـفـاقـ، وـتـعـمـيمـ الـدـيـمـوـقـراـطـيـةـ، وـتـعـزـيزـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ.

سيدي الكـرـيمـ:ـ الـيـوـمـ يـفـيـكـ وـطـنـكـ بـعـضـ حـقـكـ باـعـتـمـادـهـ قـصـائـدـكـ تـدـرـسـ فـيـ مـنـهـاجـ الـبـكـالـوـرـيـاـ،ـ غـيـرـ أـنـيـ لـأـرـىـ فـيـ ذـلـكـ الـانـكـلـيـزـيـ وـطـقـمـ غـرـبةـ الـفـرـقـ بـاـشـرـاقـيـةـ الـشـرـقـ.

أـطـلـقـتـ رـؤـيـةـ كـوـنـيـةـ فـرـيـدـةـ،ـ وـلـمـ تـتـشـرـنـقـ فـيـ زـمـانـ أوـ مـكـانـ،ـ وـلـمـ تـتـحـذـلـقـ عـلـىـ شـرـقـاتـ الـوـجـدانـ،ـ لـأـنـ مـنـ أـرـادـ أـنـ يـتـمـوـسـقـ وـيـتـعـمـلـقـ يـدـرـكـ أـنـ الفـرـادـةـ لـلـنـبـوـغـ النـاجـعـ عنـوانـ.

وـمـنـ أـسـسـ فـرـادـتـكـ أـنـ الـحـسـ لـدـيـكـ جـرـسـ،ـ وـالـلـاـيـقـاعـ نـبـضـ،ـ وـالـفـكـرـةـ حـيـاـةـ.ـ الصـوتـ أـبـدـيـ لـاـ يـفـنـيـ،ـ بـلـ يـتـضـاعـفـ أـصـدـاءـ وـتـرـاجـيعـ،ـ وـكـلـ اـيـقـاعـ بـاـقـ لـاـ يـضـبـعـ.

هذهـ تـولـيـفـتـكـ الـخـاصـةـ:ـ عـمـقـ حـكـمـةـ عـلـىـ سـلـاسـةـ تـعـبـيرـ وـنـصـاعـةـ جـوـهـرـ عـلـىـ وـضـوـحـ تـفـكـيرـ.ـ فـاـذـاـ حـكـمـةـ بـأـدـبـ،ـ وـالـفـلـسـفـةـ بـذـوقـ،ـ وـالـتـأـمـلـ بـرـهـافـةـ.

منـ كـلـ خـبـرـةـ أـهـدـيـتـنـاـ عـبـرـةـ،ـ وـعـنـدـ كـلـ مـلـمـةـ جـفـتـ لـنـاـ عـبـرـةـ.ـ منـ غـسـانـ النـجـوـيـ إـلـىـ مـسـابـقـ النـجـوـمـ،ـ مـنـ نـزـفـةـ الـلـوـعـةـ إـلـىـ مـنـاكـبـ الـمـجـدـ،ـ دـوـمـاـ الـاـسـمـ عـلـىـ رـسـمـ،ـ وـالـجـسـمـ عـلـىـ كـسـمـ:ـ أـسـدـ حـيدـرـ غـيرـ هـيـابـ،ـ وـجـودـ عـلـىـ جـوـدـةـ بـلـ أـلـقـابـ.

صـنـعـتـ مـنـ كـلـ مـحـلـلـوكـ أـدـهـمـ كـوـكـبـاـ درـيـاـ يـخـتـالـ شـمـسـاـ تـشـيـ بـبـشـرـ وـتـحـضـرـ عـلـىـ تـفـاؤـلـ.ـ وـمـعـ ذـلـكـ،ـ نـظـامـكـ مـرـصـوصـ،ـ وـانـضـبـاطـيـتـكـ حـزـمـ.ـ مـضـاءـ مـضـاـءـكـ،ـ وـمـنـبـسـطـةـ بـسـاطـتـكـ.ـ فـاـذـاـ اـعـتـرـشـ الـشـعـرـ،ـ اـرـتـعـشـ الـعـرـشـ.

أـمـاـ أـنـاـ فـحـسـبـيـ أـمـرـانـ:ـ أـوـلـهـمـاـ أـنـيـ تـعـاـوـنـتـ مـعـكـ بـصـفـتـيـ أـمـيـنـاـ عـامـاـ لـاـتـحـادـ الـكـتـابـ الـلـبـنـانـيـنـ،ـ وـبـصـفـتـكـ رـئـيـسـاـ لـوـاـحةـ الـأـدـبـ فيـ الـبـقـاعـ وـعـضـواـ فـيـ اـتـحـادـ الـكـتـابـ،ـ فـيـ اـقـاـمـةـ مـهـرـجـانـ تـكـرـيـمـ خـلـيلـ مـطـرـانـ عـامـ 1995ـ فـيـ دـارـتـكـ الـعـامـرـةـ فـيـ بـعـلـبـكـ.

وـثـانـيـهـمـاـ أـنـكـ مـاـ فـتـئـتـ تـفـرـحـنـيـ بـقـوـلـكـ أـنـكـ اـسـتـفـدـتـ كـثـيرـاـ مـنـ قـوـامـيـسـيـ وـبـخـاصـةـ قـامـوسـ الـمـورـدـ عـرـبـيـ -ـ انـكـلـيـزـيـ.

وـأـمـاـ أـنـتـ فـحـسـبـكـ اـيـضـاـ أـمـرـانـ:ـ أـوـلـهـمـاـ أـنـ التـارـيـخـ سـيـصـنـفـكـ وـاحـدـاـ مـنـ عـمـالـقـ الـعـرـبـ الـانـجـلـوـفـونـ إـلـىـ جـانـبـ مـنـ عـولـمـاـ الـادـبـ الـعـرـبـيـ وـدـوـلـوـهـ،ـ بـلـ مـتـفـرـداـ عـنـ جـبـرـانـ وـالـرـيـحـانـيـ وـنـعـيمـةـ بـأـنـكـ تـخـصـصـتـ شـعـرـاـ لـاـ نـثـرـاـ،ـ كـمـاـ سـيـصـنـفـكـ كـسـعـيـدـ عـقـلـ وـاحـدـاـ مـنـ قـلـةـ أـهـدـوـاـ حـبـ لـبـنـانـ إـلـىـ الـعـالـمـ.

وـحـسـبـكـ ثـانـيـاـ أـنـ حـسـكـ حـدـثـكـ فـحـقـتـ حـادـثـاتـهـ،ـ وـأـنـ آمـالـكـ الـفـسـاحـ ظـلـتـ مـوـاقـفـ حرـيـةـ وـتـسـامـحـ وـكـرـامـةـ،ـ مـوـاـكـبـ غـدـ أـفـضـلـ وـكـيـنـوـنـةـ أـنـبـلـ،ـ وـلـذـاـ فـانـيـ الـيـوـمـ،ـ أـذـ تـخـادـنـ الـمـئـةـ عـامـ،ـ لـاـ أـزـالـ أـرـىـ فـيـكـ أـلـقـ الـمـسـتـقـبـ الـآـتـيـ،ـ فـهـوـ حـدـسـكـ الـلـاـيـنـتـهـيـ،ـ سـلـامـاـ وـوـئـامـاـ،ـ وـسـلـامـةـ بـيـئـةـ،ـ وـحـقـوقـ أـنـسـانـ،ـ وـقـبـلـ ذـلـكـ كـلـهـ أـيـمانـاـ بـالـلـهـ تـعـالـىـ وـسـعـيـاـ دـؤـوبـاـ لـنـهـضـةـ وـعـمـرـانـ وـمـحـبـةـ أـوـطـانـ.

الدكتور روحي البعلبي